بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لو كانت مدينة غير البصرة لاحتاجت إلى تعريف، ولو كان غير القرن الهجرى الثانى لاحتاج إلى وصف. ولكن عندما يجتمع الأمران نستغنى عن كل حديث. فما أبرز صورة البصرة، وأوضحها وأجلها، فى ذهن كل متصل بالثقافة العربية، فى القرون الأولى.

وكان علم العربية – الذى توافرت عوامل عدة فى القرن الأول جعلت العرب وغير العرب يتنبهون إليه، ويتحدثون فى بعض مسائله، ويخوضون فى بعض مشاكله – كان هذا العلم قد أخذ عوده يشتد ويزكو، وأغصانه تلتف وتورق ويؤتى ثمارا شهية.

فأحاط به – فى القرن الثانى – رجال أمثال عبد الله بن أبى إسحاق، وأبى عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وأبى الخطاب الأخفش، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وسيبويه، فى البصرة؛ وأمثال الرؤاسى والكسائى ومعاذ الهراء فى الكوفة.

وكل هؤلاء الرجال مشهورون فى "علم العربية" الذى صار بعد، علوما متفرقة من لغة، ونحو، وصرف، وبلاغة. ولكن تفاوت حظهم من الشهرة، فتفاوت حظهم من عناية الناس بهم، سواء من عاصرهم أو جاء بعدهم، إلى يوم الناس هذا. فكان منهم من تمتع ولا زال بالأضواء كسيبويه. وكان من تمتع بها ثم خبت مع

الزمن. فعسر علينا أن نتبين له صورة واضحة دقيقة، أو أظلمت علينا أجزاء من صورته.

والرجل الذى أكتب عنه يعطينا مثالا بارزا لما قلت. فقد كان من أعلام البصرة إبان ازدهار الثقافة بها، بل كان أحد علمين شغلا الناس فى علم النحو، ثم جار عليه الاهمال، فلم يجد من يكتب عنه، ويقدره حق قدره.

وإنى آمل أن أستطيع – فى هذه الدراسة – أن أبرز له "صورة حية"، إن فاتها كثير مما يتصل بحياته، فعذرها أن ذلك لم يكن منها عن عجز أو إهمال أو نسيان أو غفلة، بل كان اضطرارا لضياعه.

أما ما بقى من الرجل وعنه فقد تتبعته هذه الصورة، ووضعته معا، وأعادت النظر إليه، حتى التقطت المتناسق والمترابط ووضعت كلا مع رصيفه.

ثم أخذت المنفرد، والمتنافر، وحاولت أن تستنبط الروابط بينه. وأخيرا كان النفى لما لا يلتئم مع الصورة، وكان النفى معللا.

وكانت ثمرة ذلك كله "هذه الصورة" التى أضعها بين يدى القارئ راجيا أن أكون قد أبرزت فيها معالم الرجل، وحددتها، وأكملت الساقط منها، فيستطيع كل قارئ أن يتعرف عليه وأن يقدره.